ان الشاعر الفلسطيني ــ معين بسيسو ــ يمكن ان يندرج في زمرة الشعراء الصعاليك الذين خرجوا على تقاليد قبيلتهم في الحياتين الاجتماعية والثقافية على حد سواء ، وهو في ذلك يدع بين الشعراء الفلسطينيين والعرب الذين ظلوا ، بالرغم من نكبتهم بوطنهم ، أوفياء للتقاليد الشعرية الاصيلة في الادب العربي .

اما معين بسيسو فقد انشق عن المؤسسة الشعرية وانضم الى زمرة قليلة من الشعراء الخارجين على القانون ــ الشعراء القراصنة الذين لا يتفقون مع مجتمعهم ، ولا يمتثلون للاعراف الشعرية ، يفضلون على جدار الكعبة حيث كانت المعلقات ، جريدة حائط . وكل ما لديهم نقمة على الواقع تمنحهم الشجاعة على مجابهة مجتمعهم بمثالبه ، وانتقاد عصرهم بمعايبه دون مهادنة .

عصر الكلاب

يقول شاعرنا عن بني قومه وحاله معهم :

نصبوا لي شمعة تحرسني

ومشوا في ضوئها ، وارتحلوا

فاذا دق بصدري نفس

قرعوا اجراسهم ، واعتزلوا ...

يعود تاريخ هذه الابيات الى عام ١٩٥٠ ، حين نشر ديوانه الاول . فالشمعة التي انارها اهله انما نصبوها ليتيروا طريقهم حين يغادرونه . هذا المشهد بعناصره المؤلفة من الشاعر المخذول ، والاهل الغادرين ، والاجراس المجلجلة التي تعلن عن عمل لا يقوم به احد ــ يستمر في شعر معين بسيسو لثلاثين عاما قادمة . فنقرأ من ديوان « فلسطين في القلب » عام ١٩٦٣ :

صمتا ، صمتا ، يا حملة ابواق

الخفاش الخشبي ،

يا اكلة قربان العجل الذهبي

هؤلاء ينقلبون الى اجراء في عام ١٩٦٦ :

قد باع غزة قبل اسدود

الاجير الى الاجير

والتجسيد الاخير لهذه الحالة يأتي في معركة « تل الزعتر » . وهو معقل للفدائيين الفلسطينيين في بيروت قاوم هجمات اليمينيين عدة شهور ، ثم سقط نتيجة مساومة بين قوى تكاتفت ضد الفدائيين عام ١٩٧٦ :

ما الذي يكتبه الشاعر في الارض الخراب